له، ويستحيل تجاهل الدعم الذي باتت تتمتّع به في العالم العربي، وخارجه. ومن المرجّح ان موسكو كانت تسعى، باستقبالها «حملة البنادق»، الى التعرّف عن كثب على نوايا ممثلي الحركة، وربما، أيضاً، الى اقامة علاقة مع احدى قواهم التي قد يكون لها، في المستقبل، دور تلعبه في شأن النزاع في المنطقة(١٥٦).

وهكذا، فان حركة المقاومة الفلسطينية، التي كانت بالامس القريب تُنْعَت بجميع النعوت العدائية في بعض الصحف السوفياتية، باتت تنعم، إنْ لم يكن بالرضى الحماسي لدى موسكو، فأقلّه بالاحترام المهذّب. فعندما وصل عرفات العاصمة السوفياتية، على رأس وفد رسمي من منظمة التحرير الفلسطينية، في التاسع من شباط (فبراير) ١٩٧٠، استقبله عدد من الشخصيات السوفياتية لدى نزوله من الطائرة. ومن الجائز القول، ان الزيارة التي كانت متوقّعة قبل شهرين من تاريخه، قد أُرجئت بسبب التحفّظ السوفياتي من مطالبة الجانب الفلسطيني بأن تكون الدعوة رسمية(١٥٧).

كان عرفات ينتظر من الاتحاد السوفياتي، كما عبّر هو نفسه، في تصريح له قبل الزيارة، ان «يتفهّم موقف القضية الفلسطينية، لأنه موقف حياة أو موت بالنسبة الينا»؛ وكذلك كان يريد ان يطلع «الاخوة هناك على استراتيجيتنا وموقفنا الواضح اللذين لا نفكّر بغيرهما»، ويطالب الاتحاد السوفياتي بـ «ان يقف الموقف الذي تمليه عليه النظرة العميقة الى كل ثورة، وخاصة ثورتنا التي هي صورة مباشرة لثورة التحرر في العالم»(١٥٨).

لكن، في النهاية، غلب الموقف السوفياتي، على الاقل علناً. فكان الاتصال غير رسمي، لأن الوفد الفلسطيني كان يلبّي دعوة من اللجنة السوفياتية للتضامن الافرو ـ آسيوي ذات الصفة غير الحكومية. ولم يذكر انه التقى أي مسؤول في الحكومة السوفياتية، أو في الحزب الشيوعي السوفياتي. وحين نشرت وكالة «تاس» السوفياتية نشاطات الزعيم الفلسطيني في موسكو، تطرّقت الى لقاءات بين «ممثلي التنظيمات الاجتماعية والصحافيين والكتّاب وقدامى محاربي الحرب العالمية الثانية»(١٥٩).

لقد كانت رغبة الكرملين في عدم اعطاء المحادثات طابعاً رسمياً واضحة في مغزاها، وهي طريقة مدروسة للاحتفاظ بقدر من المسافة من حركة لا تعتبرها «محاوراً مؤهلاً» في مساعي التوصّل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط. وعليه، فقد أوضحت صحيفة «برافدا»، ان المحادثات التي اجراها الوفد الفلسطيني واللجنة السوفياتية للتضامن الافرو ـ آسيوي كانت «حول القضايا التي تهم المنظمتين، ومن بينها قضايا التعاون في النضال المشترك من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي ـ الامبريالي ـ الصهيوني، والدفاع عن الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني»(١٦٠).

كما ان البيان الذي أصدرته وكالة «تاس» الرسمية، في ختام تلك الزيارة، التي استغرقت عشرة أيام، كان لا يزال واضحاً فيه ان التوجّه الاساس للسياسة السوفياتية هو عينه من حيث التأكيد ان الحل الوحيد المتاح (أو ربّما الضروري)، في مرحلة ما بعد حرب العام ١٩٦٧، هو «ازالة آثار العدوان الاسرائيلي». لكن البيان، في الوقت عينه، وخلافاً للتصنيفات السوفياتية السابقة للقيّمين على العمل الفلسطيني، مهر الحركة الفلسطينية بخاتم الشرعية الايديولوجية السوفياتية؛ اذ وصفها بأنها «حركة تحرر وطني، ومناهضة للامبريالية»(١٦١).

ولدى عودته من الاتحاد السوفياتي، استخدم عرفات «الصور البيانية» لوصف نتائج رحلته الثانية لموسكو. قال عرفات، ان «الذي نستطيع ان نقوله، في هذه الزيارة، التي حملت الكثير، هو انني زرت موسكو وكانت درجة الحرارة فيها ٢٠ تحت الصفر، وكانت كلها مغطاة بالثلوج؛ ولكن